ديانة بلاد المغرب القديم

سكان بلاد المغرب القديم، مثلهم مثل الأمم المجاورة لهم، كانوا يعيشون حالة من التَّفاعل في الجانب المعتقدي مع بيئتهم الطَّبيعيَّة المتنوعة، وخاصة الظَّواهر الطَّبيعيَّة الغريبة والغامضة التي أثارت في الإنسان المغربي القديم العديد من مشاعر الرَّجاء والخوف، التَّفاؤل والتَّشاؤم، وهي ما يعني خيال الإنسان الذي تدفعه أوهامه إلى مبادلتها بمشاعر وإيماءات ومناجاة، تنشأ عنها المعتقدات. وقد بنى الإنسان المغربي القديم انطلاقاً من هذه الأوهام معتقدات وصاغ منها طقوساً وشعائر رافقت حياته، فما هي المعتقدات التي سادت في بلاد المغرب القديم؟

أوَّلاً– معبودات سكان بلاد المغرب القديم:

يمكن تقسيمها إلى ثلاثُ صورٍ رئيسيَّة، هي:

1)– عبادة قوى الطَّبيعة:

1 – 1 – عبادة الأشجار: اعتقد الإنسان القديم بأنَّ القوى الخفيَّة قد حلَّت في الأشجار، ومثَّلت ملجا للآلهة، حيث أحيطت الأشجار بشروط خاصة، تمثَّلت في عدم إيذائها واقتلاعها أو قطعها من قبل الأشخاص، ومن فعل عكس ذلك فإنَّه سيتعرض لعقاب الآلهة، وحتى يتقرب البشر من الأشجار المؤلَّهة فإنَّهم كانوا يقومون بطقوس دينيَّة حيث يربطون في فروعها أشرطة من القماش أو قطع من ثياب رثَّة، إذ يعتبر ذلك الفعل تنذُّر يتقرب به العابد لمعبوده[1].

1 – 2 – عبادة الحجارة: عبد المجتمع المغاربي القديم الحجارة منذ عصور ما قبل التَّاريخ، ويعتقد أنَّ الحجارة عُبدت نتيجة الاستقرار البشري في المنطقة التي كان عُبَّادُها يؤدون طقوسهم هناك، واعتبرت الحجارة التي سميت (بيت - إيل) (البيتيل) أو (بيت الرَّب) التي كانت قد عبدت عند السَّاميين في الشَّرق القديم، وهي عبارة عن حجارة مستطيلة الشَّكل كثيراً ما وُضِعت فوق المذابح ليقف العُبَّاد بين يديها طلبا للرضا والبركة، ولعل أصل فكرة (البتيل[2]) لم تكن تعني في البداية صور المعبود وإنَّما تُعبِّر عن معلم ظهوره، أي المكان الذي استقرت فيه القوة الإلهيَّة[3]. ويشير "بومبونيوس ميلا" إلى صخرة بمدينة "برقة" الليبيَّة كان محرما لمسها خوفا من هبوب الرِّياح الجنوبيَّة[4].

1 – 3 – عبادة الجبال والكهوف والمغارات: اهتم الإنسان المغاربي القديم بالجبال والمغارات والكهوف واعتبرها إلى جانب ذلك أنَّها ملجأ للقوى الخفيَّة، وفي نفس الوقت وسيلة للاتصال بعالم الأموات، ثمَّ اتخذها في العصور اللاحقة مسكناً لتلك القوى، وأفرد جزءاً منها لإقامة طقوسه وتقديم نُذره، ولقد انتشرت تلك الظَّاهرة عند النُّوميدين، لذلك نراهم يُقدسون الكهوف والمغارات ويتخذون منها مكاناً مفضلا للآلهة وذلك لسماع صوتهم وأداء طقوسهم، أمَّا عن الجبال و الأماكن العالية فكان اختيارها مبنياً على تسهيل عملية الاتصال بين المقدس والعباد، لـــكونها في رأيهم تلمس

---

[1] – مُحمَّد الصَّغير غانم: **سيرتا النُّوميديَّة. النَّشأة والتَّطور، ط.1**، دار الهدى للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2008م، ص.131.

[2] – **البتيل Bétyle**: اسم مركب من كلمتين ساميتين، الأولى: "بت"، وتعني البيت الذي نسكنه أو نتعبد فيه، والثَّانية: "يل"، وتعني القوَّة الإلهية، فبتيل حينئذ هو المكان الذي تستقرُّ فيه القوَّة الإلهيَّة. **ينظر**: مُحمَّد حسين فنطر: **يوغرطة. من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، ط.1**، الدَّار التُّونسيَّة للنشر، تونس، 1970م، ص.295.

[3] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.133 – 134.

[4] – مُحمَّد بيومي مهران: **المغرب القديم**، المرجع السَّابق، ص.204.

السَّماء التي تُعدُّ المكان الطَّبيعي لتلك القوى، كما اعتبروا الكهوف مجالاً مفتوحا لامتزاج الآلهة والعُبَّاد[1].

1 – 4 – عبادة المنابع المائية: قدَّس قدماء المجتمع المغاربي القديم عبادة المنابع المائية قبل الاتصال الفينيقي البوني اعتقادا منهم أنَّ القوى الخفيَّة تسكن بها، وهي المسؤولة الوحيدة عن خصوبة وإرجاع الحياة إلى وجه الأرض واخضرارها، فالماء يساوي الحياة. وقد أدى الاتصال الفينيقي إلى تطور هذه الفكرة وأضفوا عليها أسماء بديلة استمدوها من الميتولوجية[2] السَّاميَّة، كما أعطوها أسماء بعض الآلهة مثل: (أشمون) إله الطِّب؛ كذلك استمرَّت عبادة الينابيع في الفترة الرُّومانيَّة تحت أسماء مُتعدِّدة مثل: (سيرابيس)[3]، ويشير القديس "أوغستين" إلى أنَّه يوم 23 اغسطس من كلِّ عام كان النُّوميديون يمارسون طقوساً تقضي بالغطس في البحر[4].

2)– عبادة الحيوانات:

هناك ما يشير إلى أنَّ سُكَّان بلاد المغرب القديم قد قدَّسوا الحيوانات التي ترمز إلى قوَّة التَّوالد وخاصة الكبش، والثَّور والاسد[5]، بحيث رسم الانسان المغربي لها صوراً تعبر عن مدى خضوعه وطاعته لها، ومنها:

2 – 1 – عبادة الكبش: لقد عرف الكبش الذي اظهرته الرُّسوم الصَّخريَّة وتعلو رأسه قرص الشَّمس، بالكبش (ذي هالة)، حيث أنَّه كان مزوَّداً بقلائد وزوائد تُضفي عليه هالة تَعبُّديَّة (تقديسيَّة)، ولقد مرَّت عبادة الكبش بمرحلتين، أولاهما: عباده بدائيَّة تمثَّلت في الاحتكاكات الأوَّلي بعبادة أمون بواحة "سيوة" بحيث أصبح القرص الذي كان يحمله فوق رأسه هو رمز المقدَّس "الشَّمس"، ولربما أخذ منه اسم "آمون". أمَّا المرحلة الثَّانية" فتمثَّلت في الزَّوائد التي أحاطت برقبة الكبش، ثمَّ ظهور الشَّخص الذي يقف أمامه، بحيث لا يستبعد أنْ يمثِّل كاهنا، وفي نهاية المطاف لتطور تلك العبادة أصبح الكبش يمثل حيوان تضحية الاستبدال[6].

2 – 2 – عبادة الثَّور: كانت عبادة الثَّور قد استمرت في المجتمع المغاربي حتى القرن السَّادس ميلادي، حيث يذكر (كوريسيوس) أنَّ القبائل الليبية التي كانت تقطن بالقرب من "طرابلس" بليبيا كانت تعبد ثوراً يدعى(خرزيل)، وهو نتاج تزاوج الكبش(آمون) بالبقرة(إيزيس)، وقد كانت تلك القبائل تطلق ثيرانها تتواجه في معركة بينها قبل تلك التي تخوضها جماعات كل منها ضد الأخرى، لذلك فإنَّ الثَّور كان يعرف بإله الحرب[7].

2 – 3 – عبادة الأسود: وجد تمثال من الطِّين المشوي يمثل آلهة برأس أسد في معبد بوني، وهي نفس الصُّورة التي تظهر في عملة "متلوس سيبيون" و بجوارها حروف **G - T - A** أي "جن الأرض الإفريقيَّة، والحال أنَّ الأسد كان على

---

[1] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.137.

[2] – **الميتولوجية"Mythologie"**: علم الأساطير، وهي مشتقَّة من أصل يوناني وتعني حكاية شعبيَّة أو أدبيَّة تضمُّ كائنات خارقة وإجراءات خياليَّة التي تنقل الأحداث التَّاريخيَّة. وكان "أفلاطون" أوَّلُ من استعمل تعبيرMythologia بمعنى "القول عن" أو "الأخبار عن" أو بمعنى القصص. ومنه جاء تعبير Mythologie المستخدم في اللغات الأوروبيَّة الحديثة. **ينظر: Petit Larousse en Couleurs – Libraire Larousse, 1980, p.614. وينظر كذلك:** مُحمَّد عباس: **أفلاطون والأسطورة، ط.1**، دار التَّنوير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2008م، ص.11.

[3] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.137.

[4] – نفسه، ص.139.

[5] – مُحمَّد بيومي مهران: المرجع السَّابق، ص.205.

[6] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.126 – 127.

[7] – نفسه، ص.128.

الدَّوام محلُّ توقير، و يحتل الأسد أحيانا الإله ما بين الأرض و القمر[1].

2 – 4 – عبادة الحيَّة: هي مصدر رعب و توقير معا، وهي موضوع عبادة، وامتدَّت عبادة الحيَّة (**Droco**) إلى جهات "نوميديا" و"موريطانيا"، ففي فسيفساء من هنشير[2] الحمام بالقرب من مدينة "خنشلة" تختلط الحيَّة بحوريات البحر، وفي مدينة "تيبازة الموريتاطيَّة" عرفت القديسة "سالسا" بوجود صنم يمثِّل حيَّة من البرونز، رأسها مُرصَّع بالذَّهب[3].

بالذَّهب[3].

2 – 5 – عبادة الأسماك: اعتبرت الأسماك في منطقة "تونس" الحاليَّة مُقدَّسة، حيث تميَّزت المنطقة بشعائر عبادة الأسماك، وهذا ما يفسره كثرة رسوم الأسماك التي عُثر عليها في المناطق الأثريَّة التُّونسيَّة[4].

3)– عبادة القوى الخفيَّة والكواكب:

3 – 1 – عبادة الجنّ: كان لظاهرة الجِنُّ أو الرُّوح الخفيَّة مكانة معتبرة في حياة المجتمع المغاربي آنذاك، ذلك لأنَّها اعتُبرت بمثابة القوَّة الخارقة التي لا يستطيع الإنسان السَّيطرة عليها، كما اعتبرت كذلك الرَّفيق غير المرئي، وأنَّ الأشياء لا تحدث إلَّا بأمر من تلك القوى العظيمة، وحتى يتمكن الإنسان من تحسين علاقته معها يلجأ إلى طقوس سحريَّة، كتقديم الأضاحي التي تُذبح على أبواب المنازل وقرب منابع المياه والآبار وذلك لإبعاد الأرواح الشِّريرة[5]، وتتحدث أسطورة (بلينوس الكبير) حول خفايا جِنُّ جبال الأطلس التي تَحدُثُ فيها أشياء غريبة، حيث يقول المؤرخ المشار له سابقاً أنَّ واجهة تلك الجبال تكون في النَّهار ساكنة تشبه الصَّحراء، غير أنَّه أثناء الليل كانت تظهر أضواء ومشاعل من النَّار تضيء الواجهة الجبليَّة، كما تُسمع أصوات المزامير والطُّبول فيها مما يجعل من يلاحظ ذلك يعتقد أنَّ هناك أرواحاً خفيَّة تسكنها. وبدوره أشار (بومبونيوس ميلا) – كما ذكرنا سابقا– إلى صخرة متواجدة ببرقة كانت تُحدث عواصف رمليَّة بمجرد لمسها، مما يجعل الظَّن أنَّ أرواحا خفيَّة كانت تسكنها[6].

3 – 2 – عبادة الكواكب: تجسَّدت آلهة الأمومة عند البدائيين في كوكب الأرض الذي يرجع له الفضل في احتضان سطحه للنباتات التي تخضرُّ وتنمو، وكانت طقوس المجتمع المغاربي تركز كثيراً على عبادة آلهة الخصب، لذلك كانوا يتخيلون أنَّ الأرض تتزاوج مع السَّماء[7] وتتلاقح بواسطة المطر، وبذلك تتكاثر كل أنواع الحبوب والفواكه وكلِّ الكائنات الحيَّة، وفي كثير من الأحيان كانت تقام احتفالات احتفاء بعملية الخصوبة الجيدة للأرض، وكانت معظم طقوس المجتمع المغاربي ترتكز على الزِّراعة حيث تجد أنَّ هناك طقوساً للبذر وأخرى لسقوط الأمطار وأخرى للحصاد، وهي مُوزَّعة على كامل أشهر السَّنة، وأهمُّ النُّجوم والكواكب التي عبدها المغاربة القدماء، هي:

---

[1] – مُحمَّد العربي عقون: **الاقتصاد والمجتمع في الشَّمال الإفريقي القديم، ط.1**، دار الهدى للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2008م، ص.242.

[2] – **الهنشير**: جمعها هناشير، و هو الاسم الذي كان يطلق على الخرائب الرُّومانية في إفريقيا، وهو إمَّا إقطاعيَّة فلاحيَّة، أو حقل، أو مزرعة، أو أرض مستأجرة للزراعة. **ينظر**: الموقع الإلكتروني: http://islamport.com/k/mjm/5262/4065.htm .تاريخ الولوج: 2020/03/18م.

[3] – مُحمَّد العربي عقون: المرجع السَّابق، ص.242.

[4] – مُحمَّد بيومي مهران: المرجع السَّابق، ص.205.

[5] - Ben Abou. (M**): La résistance africaine à la romanisation**, édit. Maspero, Paris, 1975, p.265.

[6] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.140.

[7] - Eliad. (M): **Histoire des croyances et des idées religieuses**, **T.1**, l'age de la pierre aux mystères d'Elusis, Payot,Paris, 1984, p.701.

أ/– الشَّمس: أشار المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" إلى انتشار عبادة الشَّمس والقمر في منطقة شمال أفريقيا و قدمت لها الأضاحي، كما أنَّ الإنسان البدائي أدرك أنَّ حركة الشَّمس منتظمة ومُحدَّدة، وبضوئها وحرارتها تمنح الأرض الخصوبة فيُنتج الزَّرع والضَّرع، وبالتَّالي أصبحت الشَّمس في أعين البدائيين من سكان المغرب القديم إلهة تخصِّب بأشعتها الحارة الأرض، وأكَّدت هذا الأمر الرُّسوم الصَّخريَّة المتواجدة في المغارات و القبور والنُّصب، على أنَّ سكان المغرب القديم عبدوا آلهة كونيَّة تمثلت في الشَّمس[1].

ويلاحظ أنَّ عبادة الشَّمس قد استمرت في شمال إفريقيا لقرون عديدة، حيث يقول ابن خلدون في فترته: «كان يوجد بين البربر من يمارس الدِّيانة اليهوديَّة والمسيحيَّة وكان أيضا من بينهم من يمارس الوثنيَّة ويعبد الشَّمس والقمر»[2].

ب/– القمر: ارتبطت عبادة القمر إلى حد كبير بخصوبة المرأة، ويشير المؤرخ "ترتيليان" إلى عبادة ثلاثة آلهة قمريَّة في نوميديا أشهرها الإلهة "فرسونينا الموريَّة" التي عبدها الأهالي، كما يلاحظ أنَّ عبادة القمر قد تأثرت بالآلهة القمريَّة في الشَّرق[3].

ثانياً– الآلهة المعبودة بالمغرب القديم (تعدُّد الآلهة):

إنَّ المتبع للحياة الدِّينيَّة ومظاهرها في المغرب القديم، يلاحظ تأثر واندماج المعبودات والآلهة في المنطقة بآلهة ومعبودات أخرى أجنبية، كرَّست في مدلولاتها الامتزاج الدِّيني في مجتمع المغرب القديم، فما هي أهم المعبودات؟

1)– الإله بعل آمون (بعل حمون):

احتل صدارة الآلهة التي عُبدت في بلاد المغرب القديم بعد أنْ احتلَّ مكانة الإله "إيل"[4] الإله الأكبر للآلهة والبشر لدى الفنيقيين وانتشرت شعبيته في معظم المملكة النُّوميديَّة[5]، و هو اله يرأس حشد من صغار الآلهة والأرواح، وهو الأعلى، ويكون صغار الآلهة أعوان له، واقترنت عبادة هذا الإله في مصر الفرعونيَّة بعبادة الشَّمس، وهو الإله الذي أدمج في قرطاج بالإله الفينيقي "بعل" وتحوَّل إلى (بعل آمون)، وهو الملقب عند الرُّومان باللاتينيَّة (ساتورن)[6].

2)– الإلهة تانيت:

تعتبر إحدى الآلهة المقدَّسة التي يتمثل دورها في الخصوبة والأمومة، وقد وُجد لها تمثال في متحف "باردو" صُوِّرت على شكل إمرأة تضع ابنتها على ركبتها، ظهرت في شرق المتوسط بِـ"لبنان" حوالي القرن السَّادس والسَّابع قبل الميلاد،

[1] – سعيد مراد: **المدخل في تاريخ الأديان، ط.1**، عين للدراسات والبحوث الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، القاهرة، 2000م، ص.41.

[2] – عبد الرَّحمن بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، مُرا: سهيل زَكَّار، **ج.6، ط.1**، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص.123.

[3] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.145.

[4] – حسن نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشُّعوب القديمة، معجم أهم المعبودات القديمة، ط.1**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، ص.180.

[5] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.148.

[6] – مُحمَّد العربي عقون: المرجع السَّابق، ص.215.

وظهرت في غرب المتوسط حوالي القرن الخامس قبل الميلاد بِـ"قرطاجة" وغالبا ما اقترن اسمها بالإله "بعل آمون"[1]. وهناك من المؤرخين من يرى أنَّ الإلهة "تانيت" أصلها بربري تبناها القرطاجيون[2].

3)– الإلهة عشتارت:

عشتارت، هي الصِّفة المؤنثة من البعل أو البعلة أو السَّيدة، وأصحُّ نطق لها فيما يرى البعض "عشترة"، وقد أطلق عليها العبرانيون في سفر الملوك الأوَّل من التَّوراة "عشتورت"[3]، وهي إلهة الخصوبة عند الفينيقيين، عُرفت بعدَّة ألقاب، منها: سيدة السَّماء، وسيدة الآلهة، والأمَّ، وآيلة، وايلاتو،... وانتشرت عبادتها بالعديد من المناطق منها: "قبرص"، و"مصر"، و"صقليَّة"، و"بلاد المغرب القديم" (قرطاجة)[4].

4)– الاله بعل إيدير:

لقد عُبِدَ "بعل إيدير" في "سيرتا" حيث ظهر في الصِّيغ النَّذريَّة و واجهات النُّصب برفقة "تانيت"، كما أنَّ إعطاءه صفة الصَّدارة والقداسة تجعلنا نفكِّرُ في أنَّه مرتبط بالإله (بعل آمون) أو بديلاً له في الوظيفة، ولقد استمرت عبادته لدى سكان بلاد المغرب القدماء، على أساس طبيعته الزِّراعيَّة التي أخذها عن (بعل آمون) تحت اسم جديد هو "إله الأمطار"[5].

5)– الإله أشمون:

هو إله الطِّب، وقد قرنه "اليونان" بمعبودهم "اسكلبيوس" الذي يُشرف على الشِّفاء، حيث أصبح هذا الإله أكثر قوة وانتشار في "قرطاجة" وباقي المراكز[6]، وقد ربط العديد من مواطني قرطاجة – المغرب القديم – أسماءهم به (كعبد أشمون)[7].

6)– الإله ملقارت (ملقراط):

يعتبر الإله "ملقارت" إله المدينة، وقد عُبِدَ في بداية الأمر بمدينة "صور" بالسَّاحل اللبناني، وكانت طبيعته شمسيَّة ثمَّ أضيفت له الطَّبيعة البحريَّة، وظهر ضمن صيغ معبد "الحفرة" بمدينة "قسنطينة" تحت اسم (كاهن ملقارت)، مما خيل للباحثين أنَّه يوجد معبد "سيرتا" للإله "ملقارت" لا يزال البحث يجري عنه؟ كما انتشرت عبادته في "قادس" حيث بُنِيَ له معبداً خاصاً منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد[8]، وظهرت صورة له على وجه عُملتها، ويتكون اسم "ملقارت" من

---

[1] – مُحمَّد الصَّغير غانم: **المملكة النُّوميديَّة والحضارة البونيَّة، ط.1**، دار الهدى للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2006م، ص.161.

[2] – حزعل الماجد: **المعتقدات الكنعانيَّة**، المرجع السَّابق، ص.115.

[3] – مُحمَّد بيومي مهران: **مصر والشَّرق الأدنى القديم، ط.1**، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، 1990م، ص.213.

[4] – البشير كيحل: **الحضور الدِّيني البوني في نوميديا (814 – 146ق.م)**، مُذكِّرة مُقدَّمة لنيل شهادة الماجستير(غ.م)، تخ: تاريخ قديم، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، قسم التَّاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2012م، ص.81.

[5] – مُحمَّد الصَّغير غانم: **سيرتا النُّوميديَّة. النَّشأة والتَّطور**، المرجع السَّابق، ص.156.

[6] – مُحمَّد بيومي مهران: **مصر والشَّرق الأدنى القديم**، المرجع السَّابق، ص.215.

[7] – مادلين هورس مادان: **تاريخ قرطاج**، تر: إبراهيم بشي، **ط.1**، منشورات عويدات، بيروت، 1981م، ص.65.

[8] – بولي بروكوفيتش تسولي: **الحضارة الفينيقيَّة في إسبانيا**، تر: يوسف أبي فاضل، **ط.1**، مطبعة العرب، طرابلس، 1988م، ص.104.

كلمتين، الأولى: (الملك) التي تعني "الرَّب"، والثَّانية: (قرط) التي تعني "المدينة"، وبذلك يكون الاسم ملك القلعة أو القرية أو المدينة[1].

5)– صغار الآلهة:

هناك فئة أخرى من صغار الآلهة عُبدت على المستوى المحلي في بلاد المغرب القديم، منها:

الإله "بعل شمين"، وهو إله السَّماوات[2]. والإله "دون"، وهو إله الزِّراعة والطَّبيعة[3].

كما نجد أنَّ بعض الآلهة تشترك في حمل نفس الأسماء مع البشر في بعض الحالات، نذكر منها:

ياكاس – يامسال – يوبا – ماقوتوم – ماسقاو – ومونا.

ويمكن أن تندمج الآلهة في المغرب القديم مع آلهة رومانيَّة، فأصبحت كما يلي:

"يوبا" يدمج في "يوبيكير"، و"موركمانيوس" أدْمج من "ماركور" و"سيبياس"، وكذلك "ماركور" و"بنثي"، وغيرها. وقد اختصت كل منطقة بإله معين مثل: "جينيوس سوتاباريّ" في "العِلْمة"، و"مونتيش روفينا" في "خنشلة" و "سوموس گاسوني" في "آفلو"، وهناك آلهة بربريَّة كثيرة منها:

غليفا – أوزيوس – سوقن – آبادير – بونشور – باليدير – ماتيلام[4].

ثالثاً– الحياة الآخرة:

لم تعتقد المجتمعات القديمة بأنَّ موت الإنسان يعني الفناء النِّهائي، بل كانت هذه المجتمعات تُقيم اعتقادها الدِّيني والجنائزي على أساس أنَّه توجد حياة ثانية بعد الموت، فكان الجسد يمثل العنصر الأساسي في هذه العمليَّة، أيْ في اعتقادهم أنَّ الرُّوح عندما تنزل في المرة الثَّانية يجب أنْ تتعرف على جسدها الحقيقي، أو أنَّ الرُّوح تتحول إلى شبح (ظل) تأخذ ملامح جسد الميت في حياته[5]، ولقد كان الإنسان يعتقد بأنَّ الجسد لا تسكنه روح فحسب وإنَّما يرون أنَّ هناك نفس، قد تكون ماديَّة أو نباتيَّة، وأنَّ روح المتوفي تُفقد بموته ويحتفظ في قبره بالقرب من جسده بنفسه (الماديَّة أو النَّباتيَّة) التي تحتاج أنْ تأكل وتشرب وتتنزه أو تتأمل الطَّبيعة، لذلك كانت المقابر تطلُّ عن البحر، وتعتبر هذه العناصر الرُّوحيَّة التي تستقل بحياة ترتقي عن حياة الجسد دليلاً على أنَّ الرُّوح ليست أسيرة الجسد[6].

كما نجد أنَّ سكان بلاد المغرب القديم مثلهم مثل الأمم المجاورة لهم، اعتقدوا بفكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجته كوسائل الحياة اليوميَّة، مثل: الأواني الفخاريَّة والمزهريات والتَّمائم، التي توجَّه من أجل دفع الضَّرر عنه من الأرواح

---

[1] – مُحمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.156.

[2] – فيليب حتي: **تاريخ سوريا وفلسطين**، المرجع السَّابق، ص.146.

[3] – عصفور محمد أبو المحاسن: **المدن الفينيقيَّة، ط.1**، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، 1981م، ص.145 – 146.

[4] – مُحمَّد العربي عقون: المرجع السَّابق، ص.228 – 231.

[5] – مُحمَّد بن عبد المؤمن: **عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم**، أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة الدُّكتوراه (غ.م)، تخ: تاريخ قديم، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والحضارة الإسلاميَّة، قسم التَّاريخ وعلم الآثار، دامعة وهران – الجزائر، 2012م، ص.171.

[6] – مادلين هورس مادان: المرجع السَّابق، ص.115 – 116.

الشَّريرة[1]. كما ساد الاعتقاد عند سكان المغرب القديم بفكرة تقديم الأضاحي قرباناً للآلهة حتى ترضى على الميت، وقد أوردت بعض المصادر أنَّ الملكة "عليسة" عندما أرادت الزَّواج مرَّة ثانية هيأت قرابين لترضية روح زوجها القديم[2].

ناهيك على ما تقدَّم اعتقد سكان المغرب القديم بوجود مبدأ المحاسبة في العالم الآخر، الذي استند إلى فكرة وجود مكافئة للإنسان المخلص الذي جاهد في حياته من أجل الخير، وليس من العدل أنْ تنتهي الحياة بانتصار الشَّرِّ على الخير، فمشاهد الشَّرِّ التي تحدث في الأرض، تدفع بالإنسان للاعتقاد بوجود عدالة، أين يتحقق من خلالها انتصار العمل الصَّالح، ووجوب محاسبة المذنب في العالم الآخر[3].

رابعاً– المعابد وتسيير الحياة الدِّينيَّة:

كان إنسان بلاد المغرب القديم يهتم ببعض المواقع التي تجلب انتباهه وتُشكِّل أثراً كبيراً في نفسه فيحيطها بأكوام من الحجارة، ثمَّ يجتمع حولها ويمارس طقوسه في أوقات معينة معتبراً ذلك مكانا مُقدَّساً، وهو ما عرف فيما بعد بالمزارة أو الخُلوة، وبتطور الزَّمن اتجهت عبادة الإنسان بعد ذلك إلى الكهوف والمغارات والجبال التي زَيَّن ساكنوها واجهاتها الدَّاخليَّة بالعديد من الرُّسومات (حيوانيَّة أو خياليَّة)، وكان اعتقادهم هو تسهيل استماع المقدَّس لِدُعائهم[4]، ثمَّ تطوَّرت إلى إقامة هياكل لآلهتهم وشيدوا لها أحياناً معابد يعتبر بعضها من العمارة الفخمة وأماكن أخرى لا تعدوا كونها أماكن عبادة متواضعة، وتنقسم هذه المعابد إلى قسمين:

1)– المعابد الرِّيفيَّة:

يتشكَّل المعبد الريفي من قاعتين تشتملان على مقاعد تتوزع بإحكام، وهما: يتصلان بساحة مُبَلَّطة صخريَّة، مما يوحي بأنَّ هذا النَّوع من المعابد كان مجالاً مُقدَّساً مفتوحاً في الفضاء[5].

2)– المعابد الخالية من المصطبة:

كان هذا الصِّنف من المعابد منتشر بكثرة في بلاد المغرب القديم، حيث كان يتشكَّل من رواق مُزيَّن بأعمدة مفتوحة إلى قاعة يمكن أنْ تكون تحتوي تمثالاً من الحجارة أو الطِّين المشوي يُمثِّل المقدَّس الذي لا يستبعد أنْ يكون (بعل آمون)، وبحسب البقايا الأثريَّة فإنَّه فقد وُجد بالمعبد مذبح وأحجار مخروطيَّة، كما يمكن وجود آبار للمياه، وبِصفة عامة فإنَّ هذه المعابد تعتبر مركزاً دينياً للعباد وذلك بإقامة طقوسهم وشعائرهم، وكذا الاحتفالات التي كان يسهر عليها كهنة المعبد، كما كان المعبد – في المنظومة الكنعانيَّة السَّامية التي هاجرت إلى بلاد المغرب القديم عند تأسيس قرطاجة – يؤدي دوراً بارزا في حركة التَّعليم الدِّيني والحياة الفكريَّة[6].

3)– النِّظام الدَّاخلي للمعبد:

---

[1] – أكصيل اصطيفان: **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تر: مُحمَّد التَّازي سعود، **ج.6**، **ط.1**، مطبعة الجديدة، الرِّباط، 2007م، ص.215 – 225.

[2] – مادلين هورس مادان: المرجع السَّابق، ص.120.

[3] - Piat Clodins: **La vie future d'après Platon**, revue nèo – scolastique, 13éme années, n°50, 1906, p.103 – 110.

[4] – مُحمَّد الصَّغير غانم: **سيرتا النُّوميديَّة. النَّشأة والتَّطور**، المرجع السَّابق، ص.157.

[5] – نفسه، ص.158.

[6] – نفسه، ص.159.

كان نظام الكهنة في المعبد ببلاد المغرب القديم يخضع لتسلسل طبقي، حيث أنَّه كان يشرف في كل معبد رئيس كهنة (رب كوهانيم) على مجموعة من الكهنة، ثمَّ يلي تلك الرُّتبة في الوظيفة طبقة من الكهنة الذين كانوا يشغلون وظائف أخرى في المعبد، مثل: الكَتَبَة الذين كانوا يحتلُّون الدَّرجة الأولى من حيث الأهميَّة، ويوجد مساعدين للكهنة يقومون بذبح الأضحية، وهناك من يسهر على إنارة المسارج في المعبد، وربما كان يوجد بالمعبد أيضاً خدَّاماً يشتغلون كمزارعين في أراضي المعبد وبعض الورشات الأخرى، مثلما كان يوجد بمعبد مدينة "قرطاجة"[1].

4)– الكهنة ووظيفتهم داخل المعبد:

كان يخصَّص لكلِّ معبد مجموعة من الكهنة والكاهنات للقيام بالشَّعائر الدِّينيَّة، وكان هؤلاء الكهنة يحتلون الصَّف الأوَّل في السُّلم الاجتماعي، وكان يقودهم "الكوهانيم" وهم خدام الإلهين (بعل حمون) و (ملقراط) ثُمَّ (الإلهة تانيت)، وبقية آلهة المعبد، وكان أكبر الكهنة يُلَقب بالرَّب بمعنى رئيس أو سيد الكهنة أو كبير الكهنة[2].

كانت وظيفة الكاهن أو الكاهنة شرفيَّة وهي الوسطة بين الرَّب والعباد، خاصة عند تقديم الأضاحي الفرديَّة أو الجماعيَّة، أمَّا الفرديَّة فتتمُّ بين صاحب الإهداء والمعبود في حضور الكاهن، وهي هديَّة في أصلها معنويَّة أكثر منها ماديَّة، يرجى منها جلب الرَّحمة والبركة. أمَّا الأضاحي الجماعيَّة فكانت تقدِّمها قبيلة أو عائلة كبيرة، وهي هدايا إمَّا نباتيَّة أو حيوانيَّة، مثل: الثِّيران والعجول والوعول وكباش وخرفان وتيوس وخيول وديكة، وحتى بعض بواكير الثِّمار والزُّيوت والحلويات والحليب[3].

ويمكن إجمال وظائف الكهنة داخل المعابد ببلاد المغرب القديم في النِّقاط التَّالية:

- ✓ الإشراف على السَّير الحسن للعبادة وتنفيذ الطُّقوس المقدَّسة.
- ✓ نشر الدِّيانة واسترجاع القوة الإلهيَّة وجلب البركة، والعمل على الرَّبط بين صاحب الإهداء و الإله المهدي له.
- ✓ ذبح الأضاحي.
- ✓ حرق البخور وخاصة عند الإله (بعل حمون)، حيث كان يعرف بسيد مذبح البخور[4].

خامساً– خلاصة واستنتاجات:

بعد هذا العرض توصلنا إلى النَّتائج التَّالية:

أنَّ ساكنة المغرب القديم، مثلهم مثل غيرهم من الأمم المجاورة لهم، عبدوا نفس أنماط العبادات، وقد تطورا في ممارسات حياتهم الدِّينيَّة والفكريَّة وفقاً لتطور الزَّمن ومرور العصور، ولم يكونوا في ذلك متقوقعين على أنفسهم بل كانوا يأخذون ويعطون مع الجوار الجغرافي في كل من: "مصر" و"إفريقيا جنوب الصَّحراء"، إضافة إلى الاتصال والتَّواصل بالحضارات المطلَّة على البحر المتوسط، مثل: "الحضارة الفينيقيَّة" و"الحضارة الإغريقيَّة" و"الحضارة الرُّومانيَّة".

---

[1] – Picard. (G. Ch): **L' Archéologie découvertes de la civilisation disparue**, Librairie Larousse, Paris, 1969, p.74

[2] – مُحَمَّد الهادي حارش: **مملكة نوميديا. دراسة حضاريَّة، ط.1**، دار هومه للطباعة والنَشر والتَّوزيع، الجزائر، 2013م، ص.118.

[3] – مُحَمَّد الهادي حارش: **التَّاريخ المغاربي القديم السِّياسي والحضاري، ط.1**، المؤسَّسة الجزائريَّة للطباعة، الجزائر، 1995م، ص.83.

[4] – مُحَمَّد الصَّغير غانم: **سيرتا النُّوميديَّة. النَّشأة والتَّطور**، المرجع السَّابق، ص.163.

قلَّد ساكنة بلاد المغرب القديم الأمم المجاورة لهم – الأنفة الذِّكر –، فيما يتعلق بفهمهم للعالم الآخر، من خلال ممارستهم نفس الطُّقوس التَّعبُّديَّة وكذا الجنائزيَّة، منها: تقديم الأضاحي والقرابين بشتى أنواعها المعروفة، وكذا طريقة الدَّفن للموتى وطلاء جثثهم، ثمَّ تزويدهم بالهدايا التي يحتاجونها في العالم الأخر، حسب ثقافة ذاك الزَّمن.